[قصيدة في مدح الملك محمد الخامس(١)

أو

القصيدة المكناسية(٢)

---

(١) مذكورة بتمامها في «قرة العين في مدح المَلِكَيْن» (ص ٤ – ٨)، والمثبت منه بالحرف، وفي مجلة «دعوة الحق»، السنة الثالثة، العدد الثالث، بتاريخ جمادي الأولى ١٣٧٩هـ – دجنبر ١٩٥٩م، (ص ٧٨-٧٩)، بعنوان: «ملك المغرب الصالح محمد الخامس»، لكن دون ذكر البيت الأخير، وبعض أبيات القصيدة في «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢١٩ – ط. المغربية) أو (٤/ ٢٩٤ – بتحقيقي، نشر الدار الأثرية)، وأورد مخلص السبتي في كتابه «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٠) ما في «سبيل الرشاد»، وزاد عليه أربعة أبيات، وفي «سبيل الرشاد» قبل الأبيات: «وقال مؤلف هذا الكتاب محمد تقي الدين الهلالي من قصيدة مدح بها الملك الخامس -رحمه الله-».

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة الإسلامية»، العدد الثامن عشر، شوال سنة ١٣٩٢هـ، (ص ٢٣-٢٧)، وعنوانها: «أتوعد سنات الرسول بمحوها»، وقال قبلها: «وقلتُ في أحد الرؤساء من أهل المغرب، كان يُحارب توحيد الله واتباع سنة رسوله ﷺ، وغرَّه منصبه؛ فأخذ يبعث الجواسيس ليحضروا دروسي، وجمعني معه مجلس؛ فأراد أنْ يوبخني ويهددني، فأغلظتُ له القول، ولم أعبأ بتهديده؛ فكاد لي ولجماعتي السلفيين الذين معي كيدًا عظيمًا؛ فردَّ الله كيده في نحره كما جاء في القصيدة، وكم حاول أعداء السنة إطفاء نور الله -تعالى-؛ فأحبط الله أعمالهم، وتفضل بالنصر على أنصار توحيد الله وسنة رسوله ﷺ؛ فله الحمد والشكر، ونسأله أنْ يجعلنا منهم، ويحيينا ويميتنا على الحنيفية ملة إبراهيم، والحمد لله ربِّ العالمين».

ثم ظفرتُ بالقصيدة كاملة في كتاب المصنف «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٢١٤-٢١٨)، وسمَّاها فيه «القصيدة المكناسية»، ولها خبر ذكره قبل سردها، قال رحمه الله:

«الرجوع إلى المدينة المنورة

القصيدة المكناسية

لمَّا أراد اللهُ -بفضله ورحمته- أنْ يردَّني إلى المدينة أَلْهَمَ صاحب السماحة العالم السلفي، =

أو

أتوعد سنات الرسول بمحوها

ناصر السنة وقامع البدعة، الورع، الزاهد، الأوَّاب؛ الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية أنْ يدعوني إلى التدريس في الجامعة الإسلامية، وعندما لقيته بمنى سنة ١٣٨٨هـ، قال لي: إنَّ الجامعة الإسلامية في حاجة إليك، فقلت له: وأنا في حاجة إليها -أيضًا-، فقال لي: بأيِّ طريق ندعوك إلى التدريس فيها؟ فأخبرته؛ فدعاني دعوةً رسميَّةً بطريق وزارة الخارجية السعودية؛ فالسفارة السعودية بالمغرب؛ فوزارة التعليم العالي بالرباط، وأتيتُ إلى هذا البلد المبارك، وأنا أسأل الله -متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا- أنْ يجعل إقامتي فيه طبق ما يجب على كل ساكن فيه؛ من مراعاة حرمته، والبُعد عن ارتكاب أيِّ حدث يتنافى مع قدسيته.

وهذه القصيدة المكناسية تُعبِّر عمَّا تقدم بالأسلوب الشعري، وقد حذفت عشرة من أبياتها إبقاءً على بعض الناس، على أنني لم أُصرِّح فيها باسم أحدٍ، لا في المحذوف ولا في المثبت، وبالله التوفيق».

ثم وجدتُهَا -أيضًا- في «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٦/ ٢٦٠-٢٦٧ ط. المغربية) أو (٦/ ٣٠٢ - بتحقيقي)، وقال قبلها:

«قال محمد تقي الدين: ونختم هذه الجيوش الشعرية بقصيدتي التي سميتُها: «الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة»، وقد صدرتها بالغزل اقتداءً بشعراء العرب، وخصوصًا الصحابة؛ كحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وغيرهما، وهذه هي القصيدة...».

ووجدتُها في «سبيل الرشاد» -أيضًا- (٤/ ٢٢٩-٢٣٢ ط. المغربية) أو (٤/ ٢٩٤-٢٩٨ بتحقيقي)؛ قال: «وهذه القصيدة قُلْتُها في مكناس سنة ١٣٨١هـ، وهذا أولها» وساق مقاطع منها.

قال أبو عبيدة: والأبيات التي حذفها من كتاب «الدعوة إلى الله»، وضعتُ أمامها علامة (*)، وبالله التوفيق.

ثم وجدتُ الهلالي يقول في مقالة له بعنوان (أهل الحديث في الهند)، وهي منشورة في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الخامسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٣هـ - سبتمبر ١٩٧٣م، (ص ١٣-٣٤): «وقلتُ أنا في قصيدة سمَّيتُها (السهام الصائبة): . . .»، وأورد البيت (٣٣) من القصيدة، وفي هذا فائدة زائدة، وهي اسمٌ جديدٌ للقصيدة.

أو

السهام الصائبة

أو

الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة]

[٨٤] وقلتُ فيمن يُعارض توحيد الله واتباع سنة رسوله، ويناضل عن الشرك والتقليد، من بحر **الطويل**:

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْجَوَى مَالِئٌ صَدْرِي ... وَبَـرَّحَ بِـي شَـوْقٌ إِلَى رَبَّـةِ الْـخِدْرِ

أُقَضِّي نَـهَارِي دَائِـمَ الْفِكْـرِ وَالأَسَـى ... وَلَـيْلِيَ تَـسْهَادٌ إِلَى مَطْلَـعِ الْفَجْـرِ

وَأَكْـتُمُ أَسْرَارِي حِـذَارًا مِـنَ الْعِـدَى ... وَمَهْـمَا أَبُـحْ فَالْـحُبُّ أَفْقَدَنِـي صَبْرِي

تَـذَكَّرْتُ أَيَّـامَ الْوِصَـالِ فَكَـادَ مِـنْ ... تَـذَكُّرِهَا قَلْبِـي يَطِـيرُ مِـنَ الـصَّدْرِ

فَيَا وَيْحَ قَلْبِي مَا يُلَاقِي مِنَ الْـهَوَى ... وِمِـنْ فَـرْطِ آلَامِ الـصَّبَابَةِ وَالْـهَجْرِ

وَعَاذِلَـةٍ جَـاءَتْ بِلَـوْمٍ كَأَنَّـهُ ... نُعَـابُ غُـرَابٍ لِلْفُـؤَادِ غَـدَا يَـبْرِي

وَلَـسْتُ بِـسَالٍ لَـوْ أَطَلْـتِ مَلَامَتِـي ... فَكُفِّي عَنِ الإِسْفَافِ وَالْمَنْطِقِ الْهُجْرِ

وَكَيْـفَ سُلُوِّي بَعْـدَ مَا شَابَ مَفْرِقِي ... وَأَنْفَقْـتُ فِـي حُبِّـي لَـهَا زَهْـرَةَ الْعُمْـرِ

أَلَـمْ تَعْلَمِـي أَنَّ الْـمَلَامَ وَإِنْ غَـدَا ... عَدِيمًا مِنَ الْجَدْوَى فَبِالْحُبِّ قَدْ يُغْرِي

وَطُفْـتُ بِـلَادَ اللهِ شَرْقًـا وَمَغْرِبًـا ... عَـلَى قَـدَمِي طَوْرًا وَطَوْرًا عَـلَى مُهْـرِ

وَأَنْضَيْتُ بُعْرَانًا[١] وَحَلَّقْتُ فِي السَّمَا ... عَلَى جَانِبَاتِ الْـجَوِّ كَـالنَّجْمِ إِذْ يَسْرِي

---

(١) أنضيت: أهزلت، والبعران: مفردها بعير؛ والمراد: كثرة أسفاره وطولها.

وَطَـوْرًا عَـلَى فُلْـكٍ عَظِـيمٍ كَأَنَّـهُ ... ثَبِيرٌ يَرُوعُ الْحُوتَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

حَلِيفَ اغْـتِرَابٍ فِـي ثَـوَاءٍ وَرِحْلَـةٍ(١) ... وَإِنْ كُنْتُ(٢) فِي أَهْلٍ كَثِيرٍ ذَوِي وَفْرِ

(وَمَا غُرْبَـةُ الإِنْسَانِ مِنْ شُقَّةِ النَّوَى ... وَلَكِنَّهَا(٣)) فِي الدِّينِ وَالْخُلْقِ وَالْبِرِّ

إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَـةَ الدِّينِ وَالْهُدَى ... وَطُغْيَانَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفِسْقِ وَالْغَدْرِ

* وَأَرْعَـنُ غُمْـرٌ جَـاءَ يُرْعِـدُ مُبْرِقًـا ... يُـحَرِّقُ أَنْيَابًـا مِـنَ الْغَـيْظِ وَالْكِـبْرِ

* فَقُلْتُ لَهُ (شُؤْشُؤْ)(٤) لَكَ الْوَيْلُ إِنَّمَا ... وَعِيدُكَ تَطْنَانُ الذُّبَابِ عَلَى النَّهْرِ

* وَلَـيْسَ يَـضِيرُ النَّهْـرَ صَـوْتُ ذُبَابَـةٍ ... وَمَهْمَا دَنَتْ تَرْدَى وَتَهْوِي إِلَى القَعْرِ

* أَتُوعِـدُ سُـنَّاتِ الرَّسُـولِ بِمَحْوِهَـا ... تَعَرَّضْتَ لِلتَّدْمِيرِ -وَيْلَكَ!- وَالثَّبْرِ

وَمَـنْ يَقْـلِ سُـنَّاتِ الرَّسُـولِ فَإِنَّـهُ ... يُعَذَّبُ فِـي الدُّنْيَا وَفِـي فِتْنَـةِ القَـبْرِ

وَيَـسْأَلُهُ فِيـهِ نَكِـيرٌ وَمُنْكَـرٌ ... وَمَا مِنْ جَوَابٍ عِنْدَهُ غَيْرُ: لَا أَدْرِي!

وَذِي سُنَّـةُ الْجَبَّارِ فِـي كُلِّ مَنْ غَدَا ... يُحَارِبُ دِينَ اللهِ فِـي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

أَلَـمْ تَـدْرِ أَنَّ اللهَ نَـاصِرُ دِينِـهِ ... وَمُوقِعُ أَهْلِ الْبَغْيِ فِي دَارَةِ(٥) الْخُسْرِ

---

(١) في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٦١): «تواعد رحلة».

(٢) سقطت من «منحة الكبير المتعالي» فقط، وزادها (بو خبزة) عليه.

(٣) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «ولكنه»!

(٤) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، **قال أبو الفضل**: «شَأْشَأْ وشُؤْشُؤْ: دُعاءُ الحمارِ إلى الماء، وزَجْرُ الغَنَم والحِمَارِ للمُضيِّ، أو شُؤْشُؤْ: دُعاءٌ للغَنَم لتأكل أو تشرب»؛ «القاموس المحيط» (٤٩٥)، والله الموفق.

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «درة»، وقد وضع تحتها (بو خبزة) خطًّا لكن دون تعليق في الهامش، والتصحيح من مجلة «الجامعة الإسلامية» و«سبيل الرشاد» و«الدعوة إلى الله».

وَكَمْ قَدْ سَعَى سَاعٍ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ ... بِكَيْدٍ فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُ فِي النَّحْرِ

وَتَنْصُرُ إِشْرَاكًا وَفِسْقًا وَبِدْعَةً ... وَنَاصِرُ هَذَا(١) خَاسِرٌ أَبَدَ الدَّهْرِ

دَعَا الْمُصْطَفَى قِدْمًا عَلَيْهِ بِلَعْنَةٍ ... وَمَنْ يَلْعَنِ الْمُخْتَارُ فَهْوَ إِلَى شَرِّ

وَتَلْعَنُهُ الأَمْلَاكُ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةٍ ... كَذَلِكَ أَهْلُ الأَرْضِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ

* تُحَدِّدُ لِلْوُعَّاظِ مَا يَدْرُسُونَهُ ... وَأَنْتَ يَمِينُ اللهِ أَجْهَلُ مِنْ حُمْرِ

* (لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا ... كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا)(٢) كُلُّ ذِي عُسْرِ

* تَدُسُّ جَوَاسِيسًا لِئَامًا بِوَعْظِهِمْ ... لِتَلْفِيقِ أَخْبَارٍ مِنَ الْمَيْنِ وَالْمَكْرِ

* لَقَدْ فُقْتَ الاسْتِعْمَارَ فِي اللُّؤْمِ وَالْخَنَا ... وَفِي الْكَيْدِ وَالْبُهْتَانِ وَالْخَتْلِ وَالْخَتْرِ

* تُحَارِبُ مَنْ يَدْعُو لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

فَيَا نَاطِحَ الطَّوْدِ الْمَتِينِ بِهَامَةٍ ... مُدَوَّرَةٍ جَوْفَا حَذَارِ مِنَ الْكَسْرِ

وَلَيْسَ يَحِيقُ الْمَكْرُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ... وَحَافِرُ بِئْرِ الْغَدْرِ يَسْقُطُ فِي الْبِئْرِ

وَكَمْ حَافِرٍ لَحْدًا لِيَدْفِنَ غَيْرَهُ ... عَلَى نَفْسِهِ قَدْ جَرَّ فِي ذَلِكَ الْحَفْرِ

وَكَمْ مُشْرِكٍ طَاغٍ تَرَدَّى بِشِرْكِهِ ... وَسَادِنِ قَبْرٍ بَاءَ بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرِ

وَكَمْ رَائِشٍ سَهْمًا لِيَصْطَادَ غَيْرَهُ ... أُصِيبَ بِذَاكَ السَّهْمِ فِي ثُغْرَةِ النَّحْرِ

* وَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْرُورُ إِلَّا مُعَبَّدٌ ... حَقِيرٌ كَفَأْرٍ صَالَ فِي غَيْبَةِ الْهِرِّ

---

(١) في مجلة «الجامعة الإسلامية» و«سبيل الرشاد»: «هذي».

(٢) غلق القوس في مجلة «الجامعة الإسلامية» بعد «كُلَاهَا»!

وَقُبَّرَةٍ أَضْحَى لَهَا الْجَوُّ خَالِيًا ... مِنَ النَّسْرِ وَالْعِقْبَانِ(١) وَالْبَازِ وَالصَّقْرِ

فَلَا تَفْرَحَنْ(٢) يَوْمًا سَيَأْتِيكَ صَائِدٌ ... وَيَسْقِيكَ كَأْسَ الْحَتْفِ كَالصَّابِ وَالصَّبِرِ(٣)

(فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ... وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي) زِدْتَ وِزْرًا عَلَى وِزْرِ

(وَإِنَّكَ لَمْ(٤) يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ... ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ) كَالسَّاقِطِ الْقَدْرِ

(فَيَا عَجَبًا حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي ... كَأَنَّ أَبَاهَا) مِنْ لُؤَيٍّ وَمِنْ فِهْرِ

أَتَغْتَرُّ بِالإِمْهَالِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... -عَدِمْتُكَ- إِهْمَالٌ(٥) وَذَا دَيْدَنُ الْغُمْرِ

وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَادِمُونَ لِسُنَّةٍ ... أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللهِ ذِي الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ

وَخَادِمُ سُنَّاتِ الرَّسُولِ حَيَاتُهُ ... كَخَادِمِهَا مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ فِي الْقَبْرِ

وَمَا غَابَ إِلَّا شَخْصُهُ عَنْ عُيُونِنَا ... وَأَنْوَارُهُ تَبْقَى إِلَى الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ

فَيَا مُبْغِضِي هَدْيِ النَّبِيِّ أَلَا ابْشِرُوا ... بِخِزْيٍ عَلَى خِزْيٍ وَقَهْرٍ عَلَى قَهْرِ

سَلَكْتُمْ سَبِيلاً قَدْ قَفَاهَا إِمَامُكُمْ ... أَبُو جَهْلٍ الْمَقْصُومُ فِي مُلْتَقَى بَدْرِ

وَعَاقِبَةُ الْمَتْبُوعِ حَتْمٌ لِتَابِعٍ ... كَمَا لَزِمَ الإِحْرَاقُ لِلْقَابِضِ الْجَمْرِ

---

(١) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «والثعبان».

(٢) في «الدعوة إلى الله» (٢١٦)، و«سبيل الرشاد» (٦/ ٢٦٣): «فلا تفرحي».

(٣) «الصَّبِرُ، ككَتِفٍ -ولا يُسكَّنُ إلا في ضرورة الشِّعرِ-: عُصارةُ شجرٍ مُرٍّ». «القاموس المحيط»، ولله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «وإنْ أنت»!

(٥) في «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله»: «إهمالاً»!

فَــإِنْ أَنْــتُمُ كَــذَّبْتُمُ بِوَعِيـدِهِ ... فَكَمْ كَـذَّبَتْ مِـنْ قَبْلِكُمْ أُمَمُ الْكُفْرِ
فَـصَبَّ عَلَـيْهِمْ رَبُّـهُمْ سَـوْطَ نِقْمَـةٍ ... فَـصَارُوا أَحَادِيثَ الْـمُقِيمِينَ وَالسَّفْرِ
(فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى ... عَلَيْهِمْ) إِلَيْكَ الأَمْرُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَـوْا سُنَّـةَ الْـمُخْتَارِ يَبْغُـونَ مَـحْوَهَا ... وَكَادُوا لَـهَا فَاجْعَلْ لَـهُمْ كَيْدَهُمْ يَفْرِي
هُـمُ اسْتَضْعَفُونَا الْيَـوْمَ مِـنْ أَجْلِ أَنَّنَا ... قَلِيلٌ وَقَـدْ يَعْلُـو القَلِيلُ عَلَى الْكُثْرِ
وَلَا سِـيَّمَا إِنْ كَـانَ[1] للهِ قَـائِمًا[2] ... وَأَعْدَاؤُهُ لِلْبَغْيِ مِـنْ جَهْلِهَا تَـجْرِي
وَإِدْرَاكُ إِحْـدَى الْحُـسْنَيَيْنِ مُـحَقَّقٌ ... لِمَنْ يَقْتَدِي بِالْمُصْطَفَى مِنْ ذَوِي الْحِجْرِ
وَمَـنْ ظَـنَّ أَنَّ اللهَ مُـخْلِفُ وَعْـدِهِ ... وَخَـاذِلُ أَنْـصَارِ النَّبِـيِّ بِـذَا الْعَصْرِ
فَـذَاكَ غَلِـيظُ الطَّبْـعِ أَرْعَـنُ جَاهِـلٌ ... عَرِيضُ القَفَا بَيْنَ الْوَرَى مُظْلِمُ الْفِكْرِ
تَكَفَّـلَ بالنَّـصْرِ الْعَـلِيُّ لِـحِزْبِهِ ... حَيَاتَـهُمُ هَـذِي وَفِـي مَوْقِـفِ الْحَشْرِ
فَفِي (غَافِرٍ)[3] قَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضِحًا ... وَلَكِنَّـهُ يَـخْفَى عَـلَى الْفَـدْمِ وَالْغُمْـرِ
سَـلَامٌ عَـلَى أَنْـصَارِ سُـنَّةِ أَحْـمَدٍ ... فَهُـمْ أَوْلِيَـاءُ اللهِ فِـي كُـلِّ مَـا دَهْـرِ
إِلَـيْهِمْ أَجُـوبُ الْـبَرَّ وَالْبَحْـرَ قَاصِـدًا ... فَـرُؤْيَتُهُمْ تَـشْفِي الـسَّقِيمَ مِـنَ الـضُّرِّ
هُـمُ حَفِظُـوا الـدِّينَ الْـحَنِيفَ وَنَاضَلُوا ... عَـنِ الْـحَقِّ بِالْبُرْهَـانِ وَالْبِيضِ وَالسُّمْرِ

---

(١) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «كاد»!!

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «قائمٌ»!

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

هُمُ خَلَفُوا الْمُخْتَارَ فِي نَشْرِ سُنَّةٍ بِفِعْلٍ وَأَقْوَالٍ تَلَألأُ كَالدُّرِّ
هُمُ جَرَّدُوا التَّوْحِيدَ مِنْ كُلِّ نَزْغَةٍ مِنَ الشِّرْكِ وَالإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَالنُّكْرِ (١)
فَلَا قُبَّةٌ تُبْنَى عَلَى قَبْرِ مَيِّتٍ وَلَمْ يَعْبُدُوا قَبْرًا (٢) بِذَبْحٍ وَلَا نَذْرِ
وَلَا بِطَوَافٍ أَوْ بِتَقْبِيلِ تُرْبَةٍ فَذَلِكَ فِعْلُ الْمُشْرِكِينَ ذَوِي الْكُفْرِ
وَلَا رَحَلُوا يَوْمًا لِغَيْرِ ثَلَاثَةٍ مَسَاجِدَ خُصَّتْ بِالْفَضَائِلِ وَالأَجْرِ
وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا في الشَّدَائِدِ كُلِّهَا بِغَيْرِ إِلَهِ النَّاسِ ذِي الْخَلْقِ وَالأَمْرِ
وَلَمْ يَصِفُوا الرَّحْمَنَ إِلَّا بِمَا أَتَى بِنَصِّ كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الزُّهْرِ
يُقِرُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا كَمَا فَعَلَ الْمُخْتَارُ مَعْ صَحْبِهِ الْغُرِّ
فَلَوْ كَانَ فِي التَّأْوِيلِ خَيْرٌ لَبَادَرُوا بِهِ، فَهُمُ الْفُرْسَانُ في النَّظْمِ والنَّثْرِ
(أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا مَا) اجْتَمَعْنَا في الْمَجَالِسِ لِلْفَخْرِ
وَقَدْ أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلُ دِينَهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ زَيْدٍ لِزَيْدٍ وَلَا عَمْرِو
بِـ(مَائِدَةٍ) قَدْ جَاءَ بِالنَّصِّ خَتْمُهُ وَإِتْمَامُ (إِنْعَامٍ) يَجِلُّ عَنِ الْحَصْرِ
وَكَمْ زَائِدٍ فِي الدِّينِ أَصْبَحَ نَاقِصًا يُبَدِّلُ دِينَ اللهِ بِالْحَدْسِ وَالْحَزْرِ
وَمَنْ ظَنَّ تَقْلِيدَ الأَئِمَّةِ مُنْجِيًا فَأَفْتَى بِتَقْلِيدٍ فَيَا لَهُ مِنْ غِرِّ
كَمُنْتَحِلٍ عُذْرًا لِيُغْفَرَ ذَنْبُهُ أَضَافَ لَهُ جُرْمًا تَجَدَّدَ بِالْعُذْرِ

---

(١) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «والمكر».

(٢) في «سبيل الرشاد» (٦/ ٢٦٥): «ميتًا».

أَلَا إِنَّمَا التَّقْلِيدُ جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ وَطَالِبُهُ خِلْوٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْخُبْرِ [١]
كَطَالِبِ وِرْدٍ بَعْدَمَا شَفَّهُ الظَّمَا جَرَى خَلْفَ آلٍ لَاحَ فِي مَهْمَهٍ [٢] قَفْرِ
فَإِنْ قُمْتَ بِالإِفْتَاءِ أَوْ كُنْتَ قَاضِيًا فَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ فَهْوَ الَّذِي يَزْرِي
وَجَرِّدْ سُيُوفًا مِنْ بَرَاهِينَ قَدْ سَمَتْ عَنِ الْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ وَالسُّخْفِ وَالْهَتْرِ
وَطَرْفَكَ سَرِّحْ فِي الْكِتَابِ [٣] فَإِنَّهُ رِيَاضٌ حَوَتْ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الزَّهْرِ
وَمِنْ بَعْدِهِ فَاعْلَقْ بِسُنَّةِ أَحْمَدٍ فَأَنْوَارُهَا [٤] تَسْمُو عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَلَا تَحْكُمَنْ بِالرَّأْيِ إِلَّا ضَرُورَةً كَمَا حَلَّتِ الْمَيْتَاتُ أَكْلاً لِمُضْطَرِّ
وَمَهْمَا بَدَا أَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى خَطَا أَقِيمَ فَبَادِرْ لِلرُّجُوعِ عَلَى الْفَوْرِ
وَمَنْ يَقْضِ بِالتَّقْلِيدِ فَهْوَ عَلَى شَفَا كَعَشْوَا [٥] غَدَتْ فِي كَافِرٍ حَالِكٍ تَسْرِي
وَمَنْ يُفْتِ بِالتَّقْلِيدِ فَهْوَ قَدِ افْتَرَى وَفِي (النَّحْلِ) نَصٌّ جَاءَ فِي غَايَةِ الزَّجْرِ
لَعَمْرُكَ مَا التَّقْلِيدُ لِلْجَهْلِ شَافِيًا وَأَمَّا نُصُوصُ الْوَحْيِ فَهْيَ الَّتِي تُبْرِي
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي [٦] عَلَى النَّبِي صَلَاةً تَدُومُ الدَّهْرَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ

---

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«سبيل الرشاد»، وفي باقي المصادر: «والخير».

(٢) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «مهمة»!

(٣) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «بالكتاب»!

(٤) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «فأنواره»!

(٥) في مطبوع مجلة «الجامعة»: «كهشوا»!

(٦) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«سبيل الرشاد»، وفي باقي المصادر: «إله».

فَــدُونَكَهَا بِكْــرًا عَرُوبًــا خَرِيــدَةً ... مُهَفْهَفَــةً غَيْـدَا عَرُوسًــا مِــنَ الـشِّعْرِ

يُـضِيءُ ظَـلَامَ اللَّيْـلِ نُـورُ جَمَالِـهَا ... وَلَـيْسَ لَـهَا إِلَّا القِـرَاءَةُ مِـنْ مَهْـرِ

قَـصَدْتُ بِـهَا نَـصْرًا لِـسُنَّةِ أَحْـمَدٍ ... وَنَاصِرُهَـا لَا شَـكَّ يَظْفَـرُ بِالنَّـصْرِ

وَعِدَّتُـهَا تِـسْعُونَ مِـنْ بَعْـدِ خَمْـسَةٍ ... وَأَخْتِمُهَــا بِالْــحَمْدِ للهِ وَالــشُّكْرِ

***

[مدح ابن أخيه منصور]

[٨٥] ولما زرتُ أخي أبا منصور محمدًا العربيَّ في باكستان سنة ١٩٥١م -بتأريخ النصارى-، وكان عنده من الأولاد في ذلك الوقت: ميمونة ومنصور وعامر؛ فقلتُ في كل واحد منهم أبياتًا كتبتُها له ليحفظها، فلم يحفظ أبياته إلا منصور، وضاعت أبيات أخويه، وهذه هي الأبيات حسبما بقي في ذاكرتي، وهي من **مجزوء الرمل المذال**(١):

أَنَــا مَنْـصُورٌ وَباللَّـــــــــ ... ــــــــهِ يَكُـونُ الإنْتِـصَارْ(٢)

---

(١) بل هو التَّسْبيغ -أو الإِسْبَاغ-؛ الذي هو علَّة تتمثل في زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، ويدخل على مجزوء الرمل، والتفعيلة التي أصابها التسبيغ تُسمَّى: مُسَبَّغًا.

أما المُذال؛ فهو التفعيلة التي أصابها التذييل -أو الإذالة-؛ الذي هو علَّة تتمثل في زيادة حرف ساكن على الوتد المجموع في آخر الجزء، ويدخل على مجزوء الكامل، ومجزوء المتدارك، ومجزوء البسيط، ومجزوء الرجز -على قلَّة-؛ انظر «المعجم المفصل في علم العَرُوض والقافية وفنون الشعر» (مادتي: تسبيغ، وتذييل)، والله الموفق. (أبو الفضل)

(٢) جاء هذا البيت في «منحة الكبير المتعالي» على أنه صَدْرٌ للبيت الثاني، والبيت الثاني عجزٌ للبيت الأول؛ كلاهما على سطرٍ واحدٍ كأنهما بيتٌ واحدٌ! والصواب أن كلَّ جزءٍ منهما هو عبارة عن بيتٍ مُستقلٍّ مُكتملٍ من صدرٍ وعجزٍ لمجزوء الرمل كما أثبته، والله الموفق. =